الفصل الرابع عشر

مواجهة اللغة العربية الفصحى

فى إطار كراهية أوروبا للإسلام ، وخوفها منه ، كرهت كل ما يتصل بالإسلام ، ووقفت أمامه وجهاً لوجه . ومن ذلك اللغة العربية الفصحى . فهى لسان التنزيل ، ووعاء الإسلام ، وعامل من أكبر العوامل على تجميع المسلمين ، وتوحيد صفوفهم ، وقيام الروابط القوية بينهم . وأوروبا تخشى وحدة المسلمين ، وتعمل بكل وسيلة على تفتيتها بالقوميات ، والوطنيات ، والطائفيات .

إن نصيب اللغة العربية الفصحى من مواجهة أوروبا وافر إذ بذلت جهوداً جبارة فى القضاء على تلك اللغة ليقوم حاجز سميك بين الإسلام نفسه ، وبين الأجيال الحاضرة والأجيال التى ستأتى .

لأن أوروبا فى مواجهتها المعاصرة للإسلام تهدف إلى تحقيق واحد من هدفين : هدف أصلى ، وهدف احتياطى .

أما الهدف الأصلى .. فهو القضاء على الإسلام كلية إذا كان ذلك ممكناً .

وأما الهدف الاحتياطى .. فهو الحيلولة بين الإسلام وبين المسلمين ، ومحاربة اللغة العربية الفصحى واحدة من أبرز الوسائل التى لها صلة بالهدفين كليهما . وأمامنا الآن ثلاثة ميادين واجهت فيها أوروبا اللغة العربية الفصحى فى العصر الحديث نوجز الحديث عنها فى الآتى :

obeikandl.com

● شمال غرب إفريقيا :

تعرَّضت اللغة العربية الفصحى لحرب شرسة فى البلاد الإسلامية الواقعة فى شمال غرب إفريقيا ، وعمل الاستعمار الفرنسى على « تغييب اللغة العربية » عن تلك البلاد ، وفُرِضت اللغة الفرنسية على المسلمين فرضاً ، كما فُرِضت الحضارة الغربية فى كثير من الأخلاق والسلوك اليومى . فكانت الفرنسية لغة كتابة وتعليم وصحافة ومحافل ، وانزوت اللغة العربية حتى كادت تُنسى فى تونس والمغرب والجزائر . وقد التقيتُ بالعديد من أبناء هذه البلاد الذين نشأوا فى ظل الاستعمار الفرنسى ، تحدثتُ معهم فهالنى ضعف مستواهم فى اللغة العربية ، لا أقول فى نحوها وصرفها - فهذه مرحلة خاصة لا يُلام على عدم تحصيلها كل الناس . وإنما أعنى طريقة التحدث وضياع الحروف الهجائية ، ثم ثقل اللسان عند نطق كثير من الكلمات ، ولُكْنَةٌ فاحشة لم يكد يسلم منها أحد ؟! وممن التقيتُ بهم وسمعتُ منهم خطباء وأئمة مساجد فلم يكونوا بأحسن حال من غيرهم : تلعثم وكلفة وركاكة . تذكرك بقول الشاعر :

مغانى الشعب طيباً المغانى ... بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربى فيها ... غريب الوجه واليد واللسان

مغانى جنة لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمان

لقد جنت فرنسا على اللغة العربية فى تلك البلاد جناية بشعة . مرات بإحلال الفرنسية محلها . وأخرى بإحياء اللهجات البربرية التى كانت سائدة فيها قبل الإسلام ؟!

* *

● اللغة العربية فى لبنان :

كانت لبنان مسرحاً لنشاط استعمارى تبشيرى هائل ضد اللغة العربية الفصحى من قِبَل فرنسا كذلك ، ولكن فرنسا لم تكن وحدها هى التى تعمل ضد

اللغة العربية فى لبنان ، بل كان لها معاونون لا يقلون خطراً ولا كراهية للغة العربية عنها .

وكان الاستعمار - عموماً - يواجه اللغة العربية فى كل بلد عربى إسلامى من خلال محورين :

أحدهما : إحلال اللهجات العامية لكل بلد محلها ؟!

والآخر : الدعوة إلى كتابة اللغة العربية - أياً كانت فصحى أو غير فصحى - بالحروف اللاتينية .

وقد تفرَّع عن هذين المحورين محور ثالث على أيدى العملاء من العرب العرب ، أو العرب المسلمين ؟! وهو إلغاء الشكل بالحركات (الفتحة - الضمة - الكسرة) وكتابة الكلمة على حسب نطقها . وسوف نوضح هذا فيما بعد إن شاء الله .

*

● محاربة العربية فى لبنان :

ظهر الاتجاه المناهض للغة العربية الفصحى فى لبنان منذ وقت مبكر ، وحمل لواء العداء نحوها الدكتور أنيس فريحة ، وسعيد عقل ، وبعض المستشرقين والمبشِّرين من الغرب ، الذين كانوا يعملون فى حقول التدريس فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وفى المدارس اليسوعية ذات الطابع التبشيرى .

ومن الذين قاموا بهذا العبء قبل الدكتور أنيس فريحة : لويس ماسينيون ، وروفائيل نخلة ، واهتم روفائيل هذا بإحياء اللهجات المحلية فى كل من سوريا ولبنان . ووضع لهذا الغرض كتاباً دعاه « قواعد اللهجة اللبنانية السورية » وتم طبع الكتاب بإشراف جماعة اليسوعيين فى لبنان ، ومن الذين سبقوا أنيس فريحة : شكرى الخورى ، وله كتاب « التحفة العامية » نشره الأب لامى اليسوعى كذلك .

وألّف خورى آخر اسمه « الخورى مارون الغصن » ، وهو مدرس بإحدى المدارس اللبنانية كتاباً فى اللهجة العامية دعاه « فى متلو هلكتاب » وهذا العنوان خليط من اللهجة العامية المحلية ، ومن اللغة العبرية . إذ استعمل الكاتب الحرف « ها » مكان علامة التعريف « الـ » فى اللغة العربية . والحقيقة أن اللهجة العامية فى لبنان تجرى على هذا النمط إلى الآن ، فيقال فى « اليوم » - مثلاً : « هَاليُّوم » - هذه المحاولات المبكرة كانت تهدف إلى إزاحة اللغة العربية الفصحى وإحلال العامية محلها . وجعلها لغة كتابة وتأليف وفن ، وهلم جراً .

*

● أنيس فريحة :

مهدت هذه المحاولات لعمل آخر قام به الدكتور أنيس فريحة ، وبذل فيه جهوداً مضنية ومتتابعة فى إصرار وعناد . وكان فريحة أستاذاً للتاريخ واللغات السامية فى الجامعة الأمريكية ببيروت .

كان عمل فريحة موجهاً إلى هدم اللغة العربية تماماً (؟) مفردات وقواعد . ومارس عمله فى أسلوب تمويهى خدّاع وهو تيسير اللغة العربية . وقد وضع فى ذلك عدة كتب ، وألقى كثيراً من المحاضرات ، حتى فى مصر نفسها (؟!) ومن الكتب التى ألّفها لهذا الغرض كتاب « تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساس منطقى جديد » .

ثم أتبعه بكتابين آخرين هما : « محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها » .

والآخر : « نحو عربية ميسرة » .

*

● شواهد من كتبه :

وإليك بعض الشواهد من كتبه وهى تكشف لك فى وضوح عن خبايا الرجل وخفاياه :

« لماذا يثور الناس كلما طالبنا بالتيسير ؟ لماذا يتهموننا بالخروج ؟ الأمر بسيط : لا يدركون أن هناك مشكلة ، ولماذا لا يدركون ؟ الأمر بسيط : الجهل عدو العرب الأكبر » ؟!

الدكتور فريحة يقدِّر تماماً خطورة اللعبة التى يؤديها ، وهو حريص كل الحرص على إقناع الناس بها ، فيدَّعى أن اللغة العربية الفصحى تشتمل على مشكلات يحاول هو حلها .. ويلوم العرب - ويقصد المسلمين - بأن عدوهم الأكبر هو الجهل ، وجهلهم هذا هو الذى حجب عنهم مشكلات اللغة العربية الفصحى فى زعمه ؟! ..

ثم يقول فى كتابه : « نحو عربية مُيَّسرة » : « ولكن لا يصح اعتماد اللغة كما انحدرت إلينا مدوَّنة . ذلك لأن الذين استنبطوا قواعدها ، وضبطوا أحكامها اعتمدوا الشعر الجاهلى أولاً . ثم القرآن الكريم مادة لغوية ؟ ومتى كانت لغة الشعر ولغة الأدب ولغة الدين مرآة تعكس لغة الناس فى معاشهم ومكاسبهم » ؟!

باختصار شديد : فريحة يرفض اللغة العربية الفصحى لأنها لغة القرآن ، ولكى يخفف من شناعة الجريمة فإنه زجَّ بالشعر الجاهلى فى الموضوع ؟!

ويقول : « إن علينا فى مواقفنا الرسمية أن نتكلم بلغة الأجيال الغابرة ، بلغة وقفت فى مجراها عند نقطة معيَّنة من الزمان والمكان - يقصد ظهور الإسلام فى شبة الجزيرة - عندما أحيطت بهالة من التقديس » ؟!

أليست كراهية الإسلام هى التى حملت هؤلاء ، ومنهم فريحة ، على كراهية اللغة العربية . ولو كانت العربية مفصولة عن الإسلام لما عاداها القوم ، بل لمجَّدوها لما فيها من مزايا الفن والتعبير ؟!

ويقول : « أقول لنفسى : إنه يجب أن تخضع العربية لى ؟! وأن تلين لفكرى ؟! لا أن يخضع فكرى وعلمى لقوالب معيَّنة راقت لأذواق جيل من الناس - يعنى المسلمين الأوائل - ماتوا منذ مئات السنين » ؟!

اللّه أكبر .. ﴿ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (١) وهل بعد هذا الكلام يُطلب دليل على أن القوم يحاربون العربية الفصحى من أجل أنها لغة القرآن ، ووعاء الإسلام ، أما لو كانت العربية الفصحى لغة للتوراة والأناجيل لكان لها عندهم زمر وتطبيل . ﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

* *

● نصيحة إبليس :

تم يتقدم « الخواجة » فريحة لنا - نحن المسلمين - لينصحنا بنصيحة شبيهة بنصيحة إبليس التى نصح بها أبانا آدم وأمنا حواء ، حين زيَّن لهما مخالفة أمر ربهما ليخرجهما من الجنة : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ ﴾ (٣) وفريحة افترض أن المسلمين سيسمعون لقوله كما سمع آدم لقول إبليس ، فزيَّن لنا قبول فكرته ، وهى هجر لغتنا التى نزل بها كتاب اللّه العزيز ، ولسان رسوله الكريم ﷺ .

يقول فريحة : « ولكن للناس أن يسألوا : ماذا سيحل بالقرآن الكريم ، والأدب القديم ؟! وجوابنا : هو أن القرآن الكريم سيخلد ، سيبقى على ما هو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة ، رغم إنحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب . فإنها حافظت على روعتها وجلالها ، ومقامها الدينى ، ولكنها تخالف لغة الناس » .

وبعد أن ضرب أمثلة ببعض الترجمات للتوراة ، وبلغة شكسبير التى أُلِّف بها مسرحياته ، وأنها احتفظت برونقها الأدبى رغم ابتعاد لغة الإنجليز المعاصرين عنها ، بعد هذا كله طفق يضرب لنا أمثلة بالواقع الكَنَسى فقال :

---

(١) آل عمران : ١١٨ (٢) آل عمران : ١١٩ (٣) الأعراف : ٢٠

« وها هى الكنيسة الكاثولوكية فإنها تعتبر الترجمة اللاتينية للتوراة اللغة الرسمية للكنيسة ، ولا يكون القدّاس إلا باللاتينية ، وقُلْ مثل هذا فى الكنيسة الأرثوذكسية التى حافظت على اللغة اليونانية التقليدية ، والكنيسة المارونية التى احتفظت باللغة السوريانية » ؟!

يواصل فريحة نصيحته الإبليسية ليطمئن المسلمين على أن القرآن سيبقى رغم غياب اللغة العربية الذى يدعو إليه هو وأمثاله ، يقول للمسلمين : إن الكنائس الثلاث التى ذكرها ظلت تحافظ على الكتب المقدسة والشعائر الدينية مع أن اللغة خارج هذه الكنائس تختلف تماماً عن اللغة المستعملة فى المراسم والطقوس الدينية . والمطلوب منا - نحن المسلمين - أن نحذو حذو هذه الكنائس فنحبس القرآن فى المساجد ، وما علينا أن نهتم باللغة خارج المساجد : تكون هى العامية مكتوبة بحروف لاتينية أو بحروف هيروغليفية . المهم أن القرآن يُقرأ فى المساجد (فقط) باللغة العربية الفصحى ، ويشعر فريحة بأن هذا « التخريف » سيلقى بعض المعارضات إذ يصعب على غير علماء الدين من المسلمين فهم القرآن الكريم ويبادر فيقول : « لن تكون لغة القرآن الكريم بعيدة عن أفهام الناس (؟!) وسيظل الناس يتعلمونه ويحفظونه غيباً ، ويدرسون صرفه ونحوه وسحر بيانه كما يفعلون اليوم ، وسيظلون يقرأونه ويستظهرونه تبركاً » ؟!

أرأيتَ إلى أى مدى يستخف الخواجة أنيس فريحة بعقولنا وأفهامنا ؟! وإلى أى مدى يتجرأ على شئون المسلمين وأخص خصائصهم . وكما قال الشاعر الحكيم :

هـــذا كـــلام له خبىء معناه ليست لنا عقول ؟!

ومع شناعة ما روّج له هذا المدّعى المتطفل . فإن مصر استدعته ليحاضر فى بعض معاهدها ، ويلقى محاضرات عن اللغة العربية ، تتضمن الكثير من دعاوى التخريب .

واليسوعيون بصفة عامة لم يتركوا باباً لتوهين اللغة العربية الفصحى إلا طرقوه . فجورجى زيدان فى كتابه المعروف « الفلسفة اللغوية » زعم مرات عزو مفردات من اللغة العربية إلى لغات أخرى كالحبشية والعبرية . مع أن تلك المفردات لها أصول لغوية مشتقة منها فى اللغة العربية مثل : الحج ، والنبوة .

وكذلك معجم « المنجد » الذى وضعه اليسوعيون حافل بالمغالطات والتحريفات . ومثلهما « الموسوعة العربية الميَّسرة » فالقوم مصممون على محاربة اللغة العربية ، وكان آخر مَنْ حمل لواء الهدم سلامة موسى فى كتابه « البلاغة العصرية » وهو فى الواقع « البلادة العصرية » ؟!

* * *

● محاربة اللغة العربية فى مصر :

رأينا ماذا فعلت فرنسا تجاه اللغة الفصحى فى بلاد شمال غرب إفريقيا ، وماذا فعلت فى لبنان . أما مصر فقد كان التركيز فيها على محاربة العربية الفصحى شديداً للغاية لأسباب ترجع إلى أوضاع مصر بصفة خاصة منها :

* أنها أكبر بلد إسلامى عربى ، وأن ما يجرى فيها سيكون له تأثير على غيرها .

* ولوجود الأزهر فيها حاملاً أمانة العلم والمعرفة ، محافظاً على اللغة العربية وآدابها على مر العصور .

* وجود الاستعمار الإنجليزى فيها واضعاً كل ثقله لنقل الحضارة الغربية إليها بكل وسيلة ممكنة .

* وجود عمالة تدين بكل الولاء للغرب وحضارته من المصريين أنفسهم مسلمين وغير مسلمين .

لذلك كانت الفرصة فيها مهيأة لشن هجوم على اللغة العربية الفصحى على أوسع نطاق . كما أتيحت فيها الفرصة للدفاع عن العربية الفصحى على أوسع نطاق .

* *

● أول مَنْ حمل لواء الهجوم :

وكان أول مَنْ حمل لواء الهجوم على العربية الفصحى فى مصر هم ممثلو الاستعمار الغربى أنفسهم . ثم تولى القيام بهذه المهمة مَنْ استطاع الغرب تجنيدهم كعملاء من المصريين أنفسهم . وإليك الحديث موجزاً عن هذه الظواهر :

* كان أول داع لمحاربة اللغة العربية فى مصر هو الدكتور « ولهلم سبيتا » الألمانى ، وكان يشغل منصب المدير لدار الكتب المصرية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، فى ظل الاحتلال الإنجليزى ، فقد أصدر كتاباً بعنوان : « قواعد اللغة العامية فى مصر » عام ١٨٨٠ وحرص أن يبيِّن فى مقدمة الكتاب أن اللغة العربية الفصحى حين قدمت إلى مصر مع الإسلام فى الربع الأول من القرن الأول الهجرى قضت على اللغة القبطية لغة البلاد الأصلية ، وكأنه بذلك يريد أن يُحرِّض الأقباط ، ويدعوهم لاستعادة لغتهم ، ويُحدث نوعاً من الفتنة بين الأقباط والمسلمين ، ثم طفق - مثل أنيس فريحة - يبيِّن المزايا التى ستحدث إذا هُجرت العربية الفصحى وحلَّت العامية محلها فيقول : « بالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة ، لا يمكن أن ينمو أدب حقيقى ويتطور » ويستغل « ولهلم » انتشار الأمية فى ذلك الوقت فى محاربة الفصحى على أساس أن اللغة الفصحى لا يستطيع قراءتها ولا فهمها كثير من الناس وقد تجاهل أن الأمى لا يستطيع قراءة ما يؤلَّف بالعامية ، فالعامية والفصحى - عنده - على حد سواء ؟!

ثم يقول : « فلماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة (الكتابة باللغة الفصحى) ؟! إلى ما هو أحسن ؟! ثم يجيب على هذا التساؤل فيقول :

« ببساطة لأن هناك خوفاً من تهمة التعدى على الدين إذا نحن تركنا لغة القرآن تركاً كلياً » ؟!

ثم يتطوع بحل هذه المشكلة كما تطوع أنيس فريحة فيقول :

« ولكن لغة القرآن لا يُكتب بها الآن فى أى قُطر ؟! فأينما وجدتَ لغة عربية مكتوبة فهى اللغة الوسطى ؟! أى لغة الدواوين ، وحتى ما يُدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لا يمكن أن يخيفها تبنى لغة الحديث العامية إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية ستظل كما هى فى كل مكان » ؟!

اتفق الرجلان (فريحة وولهلم) على عزل اللغة العربية الفصحى داخل المساجد ؟! وهذا هو الهدف الاستراتيجى الذى من أجله شن الاستعمار الحرب الشعواء على اللغة العربية . كما اتفقا على الاستخفاف بعقول المسلمين لتجريعهم السم على أنه ماء الخلود ؟!

* كتب اللورد دوفرين فى تقريره عن عام ١٨٨٢ يقول : « إن أمل التقدم ضعيف فى مصر ما دام العامة يتعلمون اللغة العربية الفصيحة ، كما هى فى الوقت الحاضر » ؟!

هذا ما كتبه اللورد ، ومعروف أن التقارير السنوية التى كانت تُرفع للحكومة الإنجليزية فى عهد الاحتلال كانت بمثابة شرح تضع الحكومة الإنجليزية خططها على أساسه . والمقصود بالتقدم المذكور فى التقرير هو تقدم ما يريده الاستعمار من تحقيق مطامعه فى مصر وليس المراد منه تقدم الشعب المصرى نفسه .

* وممن شغلوا منصب المدير لدار الكتب المصرية المستشرق « كارل فولرس » الألمانى الجنسية ، خلفاً لـ « ولهلم سبيتا » . وقد وضع « كارل » هذا كتاباً لنفس الهدف أسماه : « اللهجة العربية الحديثة » تدور فكرته حول إحلال اللهجة العامية محل اللغة العربية الفصحى . ولكنه كان أشد خطراً من كتاب « ولهلم » . حيث دعا كل شعب عربى مسلم إلى كتابة آدابه وفنونه باللهجة العامية الشائعة فيه . والهدف واضح من هذه الدعوة ، وهو تمزيق وحدة الشعوب الإسلامية

وإنغلاق كل شعب على نفسه ، لا يفهم ما يكتبه غيره ، ولا يفهم غيره ما يكتبه هو ؟!

* ونحا هذا المنحى المستشرق الإنجليزى « سلدن ولمور » وكان قاضياً بإحدى المحاكم المصرية فى عهد الاحتلال كذلك ، فأصدر كتاباً دعاه : « العربية المحكية فى مصر » عام ١٩٠١ ، وضع فيه قواعد اللهجة المصرية العامية . ثم دعا لإحلالها محل اللغة العربية الفصحى .

ومن أقواله فى ذلك : « من الحكمة أن ندع جانباً كل حكم وُجِّه إلى العامية ؟! وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد ، وعلى الأقل فى الأغراض المدنية ، التى ليس لها صبغة دينية . وهناك سبب يدعو إلى الخوف هو أنه إذا لم يحدث ذلك ، وإذا لم نتخذ طريقة مبسطة للكتابة فإن لغة الحديث ولغة الأدب ستنقرضان . وستحل محلها لغة أجنبية نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوروبية » ؟!

لقد تقمص هذا الدَعِىّ شخصية الناصح لنا ، ووضعنا بين خيارين : فإما أن نحل العامية محل الفصحى ؟! وإما أن نقبل إحلال أية لغة أجنبية محل الفصحى والعامية معاً ؟!

* وتابع « باول » ، وكان قاضياً - كذلك - فى إحدى المحاكم المصرية فى عهد الاحتلال الإنجليزى نفس المخطط ، ووضع كتاباً شاركه فى تأليفه أستاذ للغات الشرقية فى جامعة « كمبردج » وجامعة « كلكتا » هو الدكتور « فيلوت » . وسميا الكتاب : « المقتضب فى عربية مصر » ويدور الكتاب حول وضع قواعد للهجة العامية لتكون صالحة للإحلال محل اللغة العربية الفصحى .

* *

● ولكوكس :

وليم ولكوكس كان مهندساً للرى المصرى فى عهد الاحتلال الإنجليزى ، كذلك . ومع أنه « مهندس » فقد زج بأنفه فى محاربة اللغة العربية ، وكان قد

أسندت إليه وظيفة خاصة جداً لا يجوز أن يتولاها إلا مسلم ، وهى رياسة تحرير « مجلة الأزهر » ؟! وكان ذلك عام ١٨٩٣ وهذا من أعاجيب الزمن كما ترى ! ولكن لا عجب حين يملك أمر المسلمين غير المسلمين حتى لو عيَّنوه إماماً فى مسجد ؟!

وقد ألقى « وليم ولكوكس » هذا محاضرة فى نادى الأزبكية فى قلب العاصمة « القاهرة » فى نفس العام الذى تولى فيه رياسة تحرير مجلة الأزهر ، عنوان المحاضرة : « لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع عند المصريين الآن » ؟! وكان ما ورد فى المحاضرة هو الجواب على السؤال الذى جعله عنواناً لها كما تقدم . وانحصرت الإجابة على السؤال فى الآتى :

« إن سبب تخلف المصريين هو تمسكهم باللغة العربية الفصحى ، وأن المصريين إذا أرادوا الخروج من هذا التخلف فعليهم أن يهجروا الفصحى ، وأن يكتبوا ويؤلفوا باللهجة المصرية العامية ، التى يتعاملون بها فى حياتهم اليومية » ؟

يا سبحان اللّه ؟! شعب لم يستطع أن يخترع وهو يقرأ ويكتب باللغة الفصحى ينصحه « وليم ولكوكس » بأن يدوس بأقدامه لغته الفصحى ويقرأ ويكتب بالعامية ليغزو الفضاء بعد أن يملأ فجاج الأرض بالمخترعات ، ويستخرج كنوز البر والبحر ؟! تُرى : هل كان « ولكوكس » مصاباً فى عقله أم أنه قَدَّر أن المصريين كانوا « مخابيل » ؟!

الواقع أن « وليم ولكوكس » لم يكن مصاباً فى عقله ، ولا أن المصريين كانوا « مخابيل » وإنما أوروبا كانت تطرح كل الوسائل - المعقول منها وغير المعقول - من أجل زحزحة الإسلام عن حياة المسلمين ؟!

* *

● وقفة مع كل ما تقدم :

مما تقدم ندرك أن المعركة ضد اللغة العربية الفصحى اشتدت ضراوتها فى كل من مصر ولبنان ؛ لأن مصر ولبنان كانتا وكرين للتبشير ضد الإسلام ، ومحاربة

اللغة العربية الفصحى كانت هدفاً مهماً للغاية لدى التبشير الصليبى الغربى . وقد وُجِدَ فى مصر ولبنان من وسائل الحرب ضد الإسلام ولغته ما لم يوجد فى غيرهما .

ففى كل من القُطرين (مصر - لبنان) كانت الجامعة الأمريكية تقوم بدور فكرى مضاد واسع النطاق . أضف إلى ذلك أن جماعة « اليسوعيين » فى لبنان ونصارى الشام كانوا من أبرز الفصائل العربية التى تشبعت بالحضارة الغربية وتشيعت لها . بل كانت من أظهر المعابر للحضارة الغربية من أوروبا إلى بلاد الشرق الإسلامى . ومن بينها نشأت حركة « القوميون العرب » كاتجاه مضاد لفكرة « الجامعة الإسلامية » التى كان يُنادَى بها فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وأن لبنان كانت خاضعة للاستعمار الفرنسى ، ومصر كانت ترزح تحت أقدام الاستعمار الإنجليزى . وقد وقف القارىء فيما تقدم على أن كل الذين شنوا الحرب ضد اللغة العربية الفصحى فى لبنان كانوا من نصارى الشام . أما الذين بدأوا الحرب ضدها فى مصر فقد كانوا « أجانب » يشغلون مناصب ذوات خطر فى مصر : قضاة ، ومهندسين ، ومندوبين سامين لحكومة صاحبة الجلالة ، ومديرين لدار الكتب المصرية . وبعد رحيل الاستعمار عن مصر قام بهذه المهمة عملاؤه من المسلمين وغير المسلمين . وسيأتى لهذا تفصيل آخر .

* * *